طفولة عراقية على أبواب المساعدات

قصة الطفل (مجّودي) الذي أنقذه الحظ فعاد معافى القلب من الإمارات

والدة الطفل: لولا سقوط النظام ودخول منظمات الاغاثة الصديقة والشقيقة لما كتبت الحياة لولدنا

بغداد / علي المالكي

كنت أنا وصديقي نتجاذب اطراف الحديث عن اطفال العراق ، فاثقلت عليه بالحكايات الحزينة عما يعانيه الطفل العراقي من ماس اجتماعية وصحية وامنية ومعيشية ، الخ.. ولكنه سرد عليّ حكاية ولده الذي كان مريضا بالقلب ولم يكن من منقذ له سوى دولة الامارات العربية المتحدة التي يسرت امر سفره الى الامارات ، فعاد من هناك بقلب معافى وب(٣٤) حقيبة البسة ولعب وهدايا بعد ان ذهب بقلب شارف على التوقف عن النبض وبحقيبة واحدة.

تساؤلات بصوت عال

ويطرح الاطفال العراقيون خصوصا ابناء وبنات العوائل الفقيرة تساؤلات معاتبة وحزينة، تطلقها وجوههم البريئة وابتساماتهم الحزينة، فضلا عن ذويهم الذين يقفون عند عتبات مستشفيات الاطفال ووزارة الصحة والمنظمات الانسانية بحثا عن المنقذ والفادي والمخلص، ويشارك الصحفيون الشرفاء الاطفال العراقيين فيبلورون احتياجات الاطفال ومشكلاتهم في تحقيقاتهم واعمدتهم الصحفية، وقد ترك الصديق محمد درويش علي اثرا بالغا في نفسي حين كتب عموده (اطفالنا المرضى والحكومة) متسائلا، ومذكرا الى متى يبقى هؤلاء يطلبون المساعدة، ويطرقون الابواب طلبا للعلاج، وهم يعيشون في اغنى بلد في العالم، ومؤتمر بسيط يقام فيه ويتم فيه تبادل المجاملات والكلام الفارغ وميزانية تكفي لعلاج العشرات من هؤلاء؟ اليس من واجب الحكومة ان تبحث عن هؤلاء الشرفاء وتعالج مرضاهم؟ حقا ان الاطفال العراقيين هم اول الضحايا وعلى الجميع ان يشارك في انقاذهم.

وفي نفس العدد من الجريدة نشرت صفحة قضايا الناس وبالعنوان العريض، تساؤلات يقول: من ينقذ الطفلة ايلاف؟ اما السيدة ام حسين فقد حاولت الاتصال بالسيدة الالمانية ماريا من اجل ان تساعدها في علاج ولدها حسين، وقد اثنت على مجاملة السيدة الالمانية وروحها الانسانية في بعث الامل في نفس ام حسين التي اوصدت ابواب المؤسسات الحكومية وغير الحكومية بوجهها فلجأت الى (الغريب).

طفل محظوظ

وتلخص حكاية مجيد جانبا من وضع الطفولة العراقية المظلومة، فمجيد هو رمز للطفل العراقي الذي تحركت دولة ثانية لانقاذ حياته انطلاقا من المبادئ والقيم الانسانية لتلك الدولة بعد ان كاد يفقد حياته لولا عناية السماء ورعاية مستشفى الشيخ زايد، ولكن يبقى اطفال العراق ينتظرون التفاتات المنظمات الانسانية ليعالجوا في الخارج كما حدث مع الطفل المحظوظ مجيد.

قلب مثقوب

ولد مجيد بقلب مصاب بفتحة رباعية ويقول الصديق (ابو مجيد) ان معاناة مجيد، ومعاناتنا انا وامه بدأت منذ الشهر الاول لولادته كان مجيد الالم منذ ايامه الاولى وكنا نبكي معه.. وكان حديث الاطباء يهول في خيالنا ان فقدانه سيكون محتما ما لم نسع لعلاجه بالسرعة الممكنة، وكنا نصطدم بواقع المؤسسة الصحية المتخلف قبل السقوط، فضلا عن كوني ملاحقا من قبل الاجهزة الامنية للنظام.

أما ام مجيد فتتذكر قائلة: حلمت ومعي ابو مجيد، بمجيد كثيرا ونمني انفسنا بـ(الولد) مع ان كلينا لا يحفل، ان كان المولود ذكرا ام انثى ونفد ما عندنا من مدخرات واجرينا له عملية في مستشفى ابن البيطار بـ (٢٥٠) الف دينار عام ٢٠٠١ ولم تتحسن حالته ولكن العملية ساعدته على البقاء حتى سقوط النظام. وقال والده: تسلل اليأس الى نفوسنا عقب فوضى السقوط.. الا ان مصير (مجيد) كان مرهونا بوجود مستشفى الشيخ زايد (رحمه الله).

البداية مع مستشفى الشيخ زايد

انقذ مستشفى الشيخ زايد حياة الكثير من العراقيين خصوصا الاطفال ومنهم مجيد وتشعر عائلة مجيد بالامتنان لما قدمه هذا المستشفى لحياة ولدهم، اخذ الوالدان مجيد الى المستشفى حيث، اجريت الفحوصات اللازمة وكان الدكتور يوسف وهو من اهالي الشارقة مسؤولا عن المستشفى وقد بذل هو ومسؤول الهلال الاحمر الاماراتي جهودا طيبة من اجل انقاذ (مجيد) بعد انتهاء الفحوصات تركنا العنوان في المستشفى وبعد خمسة ايام توقفت امام بيت الطفل العراقي مجيد سيارة مرسيدس لتخبرهم ان مجيد سيسافر الى دولة الامارات لغرض اجراء عملية، واكمل الوالدان معاملة السفر خلال اسبوع بمساعدة الشيخ محمد بن زايد الذي كان السبب الرئيس في علاج الطفل مجيد.

رعاية خاصة

وتحدث والد مجيد بدهشة عما لقيه ولدهم (مجيد) من رعاية وعناية واهتمام ومازالا كما قلت يشعران بجميل ما قدمته دولة الامارات لمجيد.

دخل مجيد وامه المستشفى الاماراتي فيما سكن والده في فندق من الدرجة الاولى ويديره رجل هندي طيب وودود وسأل ابا مجيد عن مواليد مجيد وادخل مجيد الى غرفة العمليات ليخرج منها بقلب سليم ولم يصدق الوالدان انهما الان هنا في هذه الدولة وان العملية الحلم المستحيل قد تم تنفيذها لمجيد وبهذا المستوى الراقي من الخبرة الطبية والتكنولوجيا المتقدمة.

عيد ميلاد مجيد

وبعد ان تماثلت صحة مجيد للشفاء نظم مدير الفندق حفلة لتوديع مجيد، واعتبروها ايضا حفلا لميلاد مجيد، للطفل المحظوظ.. واحيت الحفلة المصغرة فرقة فلبينية واحدى مدارس الاطفال ورفعت المغنية الفلبينية مجيد بيديها فيما كانت دموع الفرح تنهال من عيون والديه، قال ابو مجيد: لقد ذهب مجيد بحقيبة واحدة تحمل الاوراق ولكنه عاد بـ(٣٤) حقيبة من الالبسة واللعب والهدايا والاهم عاد بقلب سليم.

لا استطيع التعبير عن مشاعري ازاء ما فدمه الاخوة الاماراتيون لولدي مجيد، بارك الله بكل انسان على وجه البسيطة يعمل من اجل الاطفال والطفولة التي يحيط بها الخطر.

ما بعد الحكاية

وعلى الرغم من الفرح الغامر للابوين بعلاج مجيد الا ان اللصوص وسراق السيارات اضاعوا الفرحة حينما سلبوا سيارة ابا مجيد بعد شهر واحد من شرائها الا ان ابا مجيد يقول: الاهم عندي صحة مجيد) وتبقى تساؤلات الاطفال العراقيين تستصرخ الضمائر النقية في العراق من اجل انقاذ اطفال العوائل الفقيرة والمحرومة التي تعاني محنة العوز ومحنة مرض الاطفال الذي لا يمكن علاجه الا خارج العراق.

حدث و حديث

الإعلام والحقيقة

في ظل النظام الصدامي البائد عاش الشعب العراقي المظلوم كل اصناف الحيف والاضطهاد، والفاقة والتضليل، ولم تكن له حقوق ولا حريات الا من خلال العقلية البعثية المتغطرسة الصدئة، لذا نراه اليوم شديد التمسك بحقوقه وحرياته لدرجة رفض أي مساس بها او تقليص في مدياتها، ومنها حقه في التعبير، ورفض التزوير والتضليل.

فهو متعطش لمعرفة الكثير عن احوال العالم واوضاع الشعوب، فكيف به لمعرفة شؤونه الحياتية واحواله اليومية، ونجده يكره التعمية واخفاء حقائق الامور، لذا فهو يلقي بهذا الواجب، بحسب العائدية على عاتق وسائل الاعلام، المكتوبة والمرئية والمسموعة.

ويفهم جيدا ان لكل من هذه المجالات الثلاثة اهدافها وتوجهاتها ومساراتها. فالعدوة منها تجاهر بمعاداة الشعب وهذه مدفوعة ومدعومة من دول ومنظمات معادية مكشوفة.

أ.د.محمد يونس

وهناك من تدس السم بالعسل لخدع وتضليل السذج والبسطاء والاميين، لاعبة على اوتار الدين او القومية او الوطنية المزيفة والمنافقة، هناك ايضا الصادقة النظيفة والمدافعة عن حقوق الشعب وتطلعاته.

الملاحظ عند بعض الفضائيات وفي احيان كثيرة قطع حديث المتكلم فنشاهد صورة بلا صوت. وهذا هو منتهى الاجحاف بحق المواطن.

الملاحظ عند بعض الفضائيات وفي احيان كثيرة قطع حديث المتكلم فنشاهد صورة بلا صوت.

وهذا هو منتهى الاجحاف بحق المواطن.

فلماذا يحرم من حق معرفة الحقيقة بكل ابعادها ثم يقرر بعد ذلك موقفه منها سلبا او ايجابا؟ نحن نفهم ان الاسباب الامنية وراء قطع الصوت في محاكمات الطاغية وزمرته، ولكن لماذا في غيرها؟ هل ترانا من الجهل بحيث لا نحسن ممارسة حقنا في ذلك ونبقى في ظل الظلامة القديمة.

فيكون هنالك من يقرأ ويفكر ويخطط وينفذ نيابة عني ومن وراء ظهري وكأنني صفر على الشمال، لقد انقضى ومضى الى غير رجعة ذلك الزمن الاغبر، والمواطن الان متمسك بحقه في معرفة الحقيقة واتخاذ الموقف اللازم، وهذا ما يعض عليه بالنواجذ!

اننا نناشد كل وسائل الاعلام الموضوعية ان تقدم الحقيقة الى المواطن بلا رتوش وان لا تخفيها عنه، فهو سيعرفها حتما وبالتالي سيفقد الثقة بوسائل الاعلام هذه وهنا قمة المأساة.

انتبه.. طفلك يعاني الخوف و السبب أنت!

بغداد / مفيد الصافي

اقترب دكتور حيدر من الطفلة(س. ص) ذات الربيع الخامس من عمرها ، سألها بهدوء مم تخاف ، امتنعت عن الإجابة أول الأمر ثم تفوهت بصوت متقطع طفولي "أخاف من الوحش والطيارة" ، غير بعيد عنهما ، احتضنت دكتورة أمل طفلا آخر بدا منعزلا عن بقية الأولاد الذين كانوا يرددون مقطع أغنية طلبتها منهم معلمة الروضة ، فتتحرك أجسادهم الصغيرة مع وقع أصواتهم ، داعبت الطفل (ا.ع) الذي كان يعاني الانطواء والخوف ، سألته ان يذهب معها إلى الحديقة فامتنع ، حاولت ان تجذب بصره الى لعبة على شكل دب مصنوعة من القماش في يدها ،ولكنه لم يتأثر ، ومن دون ان تدري افلت منها ليتجه إلى زاوية في القاعة بعيدا عن بقية الأولاد.

الكائنات المتميزة

وإذ تدخل إلى كلية التربية للبنات ،قسم رياض الأطفال يثير عجبك وجود روضة حقيقية للأطفال وأخرى للتمهيدي ، ينفتح بصرك على القاعة الكبيرة التي حوت أشياء كثيرة منها، لعب أطفال، كراسات،دفاتر ملونة، منصة مسرح صغير ،حتى السقف مزين بطريقة جميلة. تلج إلى غرفة صغيرة اجتمع فيها عدد من الأطفال أمام معلمتهم، قسم من الطالبات المتدربات جلسن يراقبن الأولاد .أكدت الدكتورة أمل داود سليم، أخصائية إرشاد نفسي للطفل- ان الطفل كائن إحساسه عميق وواسع ، وهو يضفي الحركة على الأشياء الجامدة ، فتجده يتحدث مع لعبته او تجده يلعب مع المكنسة مثلا. وقالت "إن الطفل ينظر الى عيون والدته ليعرف ان كانت راضيه عليه ام لا" . شاركها دكتور حيدر سهيل حنون، رئيس القسم مصنفا الطفولة إلى أربع مراحل اولها المرحلة الحسية الحركية- من الولادة الى ٢ سنة. ثم مرحلة ما قبل العمليات المادية، ٢-٦ سنة ومرحلة العمليات المادية ٦-١٢ سنة ، وهي التي يقتصر فيها إدراك الاطفال على المحسوسات ومرحلة العمليات المجردة من١٢ سنة فما فوق، وهي المرحلة التي يدرك فيها الطفل الأشياء المجردة وأكد نصيحته الى المربين قائلا" إذا أردت ان تعالج مخاوف الأطفال فعليك ان تعالج نفسك ، فألام التي تخاف لا تستطيع ان تعالج طفلا يعاني الخوف"

تفسير الخوف

وصفت الدكتورة أمل الخوف بانه انفعال طبيعي ولكنه يصبح غير طبيعي اذا زاد عن حده.وقسمت أعراضه إلى نفسي ، مثل هروب الطفل من الغرفة المظلمة او البكاء الشديد او الاختباء تحت المنضدة ، واعراض فسلجية مثل التقيؤ او مضاعفات أخرى تصاحب حالة الإصابة بالخوف. وتحدثت كيف تقوم الغدة الكظرية بإفراز الادريالين الذي يوازن الطفل في مواقف الخوف. واكدت ان لديهم سبع حالات لتلاميذ يعانون الخوف المرضي في روضتهم. وكيف انهم يحتفظون باستمارات خاصة بكل طفل ،تشير الى نشاطاته اليومية. سردت الدكتورة امل قصة الطفلة (ص.ع) ، التي تعرضت الى حادث انفجار عبوة ناسفة حينما كانت تسير مع امها وكيف أحست بالرعب بعد ان أخذت الام تجر طفلتها. ولان الطفلة كانت بدينة بعض الشيء فكانت تقول لها- اركضي والا سوف نموت- وفي النتيجة عانت الطفلة من تلك الحادثة وبدأت تخاف الخروج من منزلها وتركت الروضة. وتذكرت الطفلة(و.أ) التي حصل لها خلل في عينيها-حول- بعد ان شاهدت عملية اقتحام من قبل الاميركان الى منزلهم. قالت عنها "انها شاهدت الحادث وهي صامتة لا تتحدث" بعد ايام أخذوها الى طبيب عيون فأكد تعرضها الى انفعال حاد و خوف شديد اثرا في أعصابها، ألبسوها نظارات وحذر الطبيب من تعرضها الى أي جهد .

نشوء الخوف

أكدت دكتورة امل ان المخاوف تنشأ داخل محيط الأسرة وتلعب ألام دورا رئيساً فيها لان الطفل يتعلق بها أكثر.وكيف ان الاطفال الذين يشعرون بالخوف من صوت الرعد انما هم (يقلدون) الام التي تخاف من صوت الرعد ، خوف بالتقليد. وهنالك طريقة اخرى ينتقل فيها الخوف الى الطفل وهي طريقة- المباشر اللفظي- حين تقول الام لطفلها مثلا ان يتجنب السير في الشارع الفلاني لان شخصا ما سوف يؤذيه، هنا ينتقل الخوف له لفظيا. وألطريقة الثالثة تسمى بطريقة –المثير والاستجابة- وضربت مثلا على ذلك ، وجود طفل في غرفة اطفئ فيها الضوء ورافق ذلك نقاش حاد بين الأبوين ،فيشعر الطفل حينها بحدة صوت الابوين المرادف لعنصر الظلام ويبدأ عندها بالخوف من الظلمة.وأضافت الدكتورة امل حالة اخرى وهي الخوف الناشيء من العوق الجسدي، الذي يحصل للطفل على اثر مخاوف من عدم قدرته على أداء المهام التي يقوم بها الطفل السليم ، وأحيانا ينشأ هذا الخوف من فقدان الطفل الثقة بذاته، وعلى الاسرة الدور الاكبر في تشجيعه ليمارس نشاطاته من دون حساسية زائدة.

إذا أردت ان تعالج مخاوف أطفالك فعليك ان تعالج نفسك أولا

واشار الدكتور حيدر الى –الفترة الحرجة للطفل وهي مابين ٣ الى ٦ سنوات وهي من اهم الفترات- والتي اذا مر بها الطفل وحصلت لديه (خبرة) تجربة سيئة فسوف تؤثر فيه طوال حياته .

الاقتران الشرطي

أشارت الدكتورة امل إلى تجربة العالم داتسن، صاحب المدرسة السلوكية الذي فسر المخاوف لدى الطفل على اساس مثير واستجابة- اذ احضر طفلا رضيعا ثم قرب منه أرنبا وكلما ظهر الأرنب يبدأ بإحداث صوت عنيف عبر مطرقة. اكتشف العالم ان ذلك الطفل الرضيع اخذ يشعر بالخوف كلما ظهر الأرنب. بينما شرح دكتور حيدر تجربة المجال التي يؤثر فيها العامل المثير للخوف على الأقرب فالأقرب وكأنه مجال مغناطيسي . وكيف ان الخوف شعور بعدم الأمان .وان إشباع حاجة الأمان يؤدي إلى انتفاء الخوف ،بإزالة المثير له، لانه حسب النظرية المعرفية سوف تؤدي بالطفل الذي يعاني الخوف الى الموت . قالت دكتورة امل "ان من الخطأ محاولة إشعار الطفل بمواقع الخوف لان شخصيته سوف تنشأ ضعيفة وخائفة"

أدواء ام برنامج سلوكي؟

أضافت دكتورة أمل إن أكثر علاجات الخوف هي سلوكية لا ينفع الدواء معها . لذا يجب توفير برنامج سلوكي متدرج والالتزام به من قبل المربي حتى يتم التخلص من المثير الخوفي.

ووضحت الدكتورة طريقة علاج الطفل الذي يخاف الظلمة عن طريق –التطمين المتدرج- قائلة ان الخطوة الأولى ان على ألام ان تأخذ بيد طفلها ويدخلا الى الغرفة المظلمة معا ، لفترة قصيرة شريطة ان تمسك بيده وهذه (المسكة) مهمة لان انفعالات الخوف تنتقل من جسم الطفل الى جسم الام كالكهرباء ، الخطوة الثانية ، يدخلان الغرفة المظلمة معا ويوقدان النور فيها قليلا ثم يطفئانه ،الخطوة الثالثة، تحاول ألام ان تدفع طفلها الى دخول الغرفة وحده وهي تقول له(أنر مصباح الغرفة وحينما تخرج أطفئه) الخطوة الرابعة ،تقول له ان المصباح محترق او تنكر وجود الكهرباء، وتطلب منه ان يدخل الغرفة المظلمة وحده لجلب شيء تحتاجه وتقف هي غير بعيدة عنه، الخطوة الخامسة ، تطلب منه ان يدخل الغرفة مقابل مكافأة - مثلا ان تضع بعض الحلويات في الغرفة المظلمة ليأتي بها- وأكدت دكتورة امل قائلة "هذه الخطوات لا تتم في يوم واحد بل في عدة ايام وربما أسابيع وبشكل متدرج ومن دون استعجال او إجبار للطفل".واضافت الدكتورة امل انهم مع ذلك يجدون امهات يفشلن في علاج أبنائهن بهذه الطريقة لأنهن لا يحسن استخدام البرنامج بطريقة صحيحة او ان الام تجبر الطفل ولا تصبر معه بل تتركه في غرفة مظلمة وحده وهذا يؤدي إلى حصول ردة فعل سلبية. وبالإضافة الى طريقة العلاج بالتطمين المتدرج هنالك طريقة المكافأة والعلاج بالتدريب والتكرار والعلاج بالشرح والتوضيح.والعلاج بالحوارات التعليمية التي يمكن ان يؤديها الابوان وكذلك العلاج بالقصص .وقالت" ان تعابير وجه الام اذا كانت لطيفة مع طفلها تضفي حسا دافئا على قلبه".

شخصية الأبوين تلعب دورا رئيسا في التأثير على نفسية الطفل

الخوف الايجابي

أشارت الدكتورة امل الى ان الفتيات الصغيرات مخاوفهن أكثر بيئيا وفسلجيا لان سرعة اكتسابهن الصورة المخيفة اكثر من الصبيان. بينما قال الدكتور حيدر ان البنت تتأثر بامها والابن يقلد اباه. اكد الدكتور حيدر ان الخوف يظهر عند الطفل في سن ١٨ شهرا ولكن الانفعالات السارة كالضحك والابتسامة وكذلك الانفعالات المؤلمة مثل البكاء والاشمئزاز جميعها تظهر عند الولادة.اما الخوف فيبدأ بعد ١٨شهرا اذ تتكون لدى الطفل خبرة ، فمثلا عندما يلمس الطفل مدفأة ساخنة يشعر بالالم وهكذا .وأشارا الى ان عقوبة المعلمة تساهم ايضا في ظاهرة الخوف لدى الاطفال .وكذلك مشاهدة الأفلام الكارتونية المخيفة التي لا تتناسب مع أعمارهم.او مشاهدة افلام للكبار كافلام الرعب التي تظهر فيها شخصيات شريرة! اكد دكتور حيدران القلق البسيط يكون ايجابيا اذا كان لدى الطفل امتحان اما ان يصبح القلق زائد عن الحد فهذا غير طبيعي" علينا ان نتعلم ان الخوف الايجابي يؤدي الى النجاح بينما الخوف السلبي يؤدي الى الفشل"

الاسرة الديمقراطية

صنف دكتور حيدر الأسر العائلية الى اربعة انواع فمنها الاسر المركبة - اغلب الاسر العراقية منها- والتي تضم بالاضافة الى الابوين الخال او العم والجد والجدة ،وربما يتعلم الخوف من احد هؤلاء وهنالك الاسرة الديمقراطية - الاسرة المرنة -والتي تتعامل بطريقة صحيحة مع اطفالها، والنوع المتسلط الذي يضم ابا متسلطا واما متسلطة يكون الأطفال هنا في حالة صعبة وهنالك الام النابذة او الأب النابذ وهؤلاء ليس لديهم التزام جيد مع أطفالهم لأسباب مختلفة. في العائلة المتسلطة ربما يظهر الطفل خنوعا أمام الأطفال الأكبر منه سنا و العدوانية مع الأطفال الأصغر منه وهو أحيانا يقلد شخصية الأب المتسلط . الطفل مع العائلة المهملة يكون انطوائيا .في حالة كون الاب متسلطا و الام مهملة فتكون شخصية الطفل مركبة تعاني العدوانية احيانا ومن الانطوائية احيانا أخرى. ان أسلوب العلاج بالتمثيليات او الحوارت التعليمية التي يقوم بها الأبوان أمام أطفالهما على مائدة الطعام مثلا يمكن ان تبعد الخوف الذي ينقله الطفل من الشارع الى المنزل ،" اهم شيء يجب ان يتعلمه الوالدان ان الثواب أبقى وأقوى من العقاب" .اشار دكتور حيدر الى اهمية فترة الطفولة لانها الاساس في صنع الشخصية المستقبلية وأخيرا ردد مع ابتسامة هادئة مقولة العالم داتسون" اعطني عشرة أطفال أصحاء اصنع منهم ما شئت".